قال ان استقرضك اقرضته وان استعانك اعنته وان مرض عدته
وان احتاج اعطيته وان افتقر عدت عليه واذا اصابه خير هناته
واذا اصابته مصيبة عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستطيل
عليه بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذيه بريح قدرك الا ان
تغرف له منها ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده وروي بالفا ظ
اخري واسانيده واهية لكن تعدد مخرجها يشعر بان
للحديث اصلا قال ابن ابي جمرة واكرام الجار من كمال الايمان
وكان اهل الجاهلية يحافظون عليه والذي يشمل جميع وجوه
الاكرام ارادة الخير له وموعظته بالحسنى والدعا له بالهداية
وترك الاضرار على اختلاف انواعه حسيا كان او معنويا الا
في الموضع الذي يجب فيه الاضرار بالقول والفعل والذي
يخص الصالح من جميع ما تقدم وغير الصالح كفه عما يرتكبه بالحسنى
على حسب مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعظ الكافر
بعرض الاسلام عليه واظهار محاسنه والترغيب فيه برفق
والفاسق بما يليق به ويستر زللـه عن غيره وينهاه برفق ه
والفاسق بما يليق به فان افاد والا هجره قاصدا تاديبه مع
اعلامه بالسبب وهنا تنبيه وهو انه اذا امر باكرام الجار مع
الحايل بين الانسان وبينه فينبغي له ان يرعى حق الحافظين
الذي ليس بينه وبينهما جدار ولا حايل فلا يؤذيهما بايقاع
المخالفات في مرور الساعات فقد ورد انهما يسران بوقوع الحسنات
السيات فينبغي اكرامهما ورعاية جانبهما بالاكثار من عمل الطا
والمواظبة على تجنب المعاصي فهما اولى بالاكرام من كثير من الجيران
ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه زاد البخاري

في حديث ابي شريح جايزته قال وماجايزته يارسول الله
قال يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام واكرام يكون
بطلاقة الوجه والاتحاف والزيارة فيحتمل انه في اليوم
الاول ويقدم له ماتيسر في الثاني والثالث وباكرامه
يحصل الايتلاف المودي الى التعاضد والتناصر لان الانسان
اما ضيف او مضيف فاذا اكرم بعضهم بعضا ايتلفت
القلوب واتفقت الكلمة قال بعضهم ولا يحصل الامتثال
الا بالقيام بكفايته فلو اطعمه بعض كفايته وتركه جايعا لم
يكن له مكرما لانتفا جزء الاكرام واذا انتفى جزؤه
انتفى كله وفي كتاب المنتخب من الفردوس عن ابي الدرداء
مرفوعا اذا اكل احدكم مع الضيف فليلقمه بيده فاذا فعل
ذلك كتب له عمل سنة صيام نهارها وقيام ليلها وفي حديث
قيس بن سعد من اكرام الضيف ان يضع له مايغسل به
حتى يدخل المنزل ومن اكرامه ان يركبه اذا انقلب الى
منزله ان كان بعيدا ومنه ان يجلس تحته وشمل الامر باكرام
الضيف الفاسق والمبتدع والمودي فيكرم من حيث
الضيافة ويهان من حيث الفجور كل جهة بما تستحق على
قياس نظايره من ذوات الجهتين واما حديث لاياكل طعامك
الا تقي فالمراد غير الضيافة مما هو اعلا في الاكرام من مواكلته
واتحافه بالطرف والتحف ثم ان الامر بالاكرام انما هو منوط
بثلاثة ايام كما جاء مصرحا في عدة اخبار منها مارواه ابن ابي
الدنيا وغيره عن ابي هريرة مرفوعا الضيافة ثلاثة ايام
فما زاد فهو صدقة وعلى الضيف ان يتحول بعد ثلاث وفي

وعن عطية العوفي قال قال لي جابر بن عبد الله رضي الله عنه يا عطية احفظ وصيتي وما اراك تصاحبني غير سفري هذا احب المجهد واحب محب المجهد
ولو وقعوا في الذنوب والخطايا وابغض مبغض المجهد ولو كانوا صواما قواما واطعم الطعام وافش السلام وصل بالليل والناس نيام فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اتخذ الله ابراهيم خليلا الا لاطعامه الطعام وافشايه السلام وصلاة الليل والناس نيام وعن العيزار بن حريث
قال جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال ان هولاء المهاجرين يقولون انا لسنا على شي فقال بلى اذا اقمت الصلاة واتيت الزكاة وحججت البيت
وقريت الضيف دخلت الجنة وعن ابي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يومن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه جايزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام فما كان بعد ذلك فهو صدقة وعن عكرمة رضي الله عنه قال كان ابراهيم عليه السلام
يسمى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب وعن علي رضي الله عنه لان اجمع نفرا من اخواني على صاع او صاعين احب الي من ان اخرج الى سوقكم هذا
فاعتق نسمة وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اصنع طعاما فقرب ذهيبة فلم يدعه واذا امر به مسكين دعاه وقال اتدعون من لا يشتهيه وتدعون
من يشتهيه انتهى
تنبيه الغافلين للسمرقندي

حديث اخر الضيافة ثلاث ليال حق لازم فما سوى ذلك فهو صدقة
واخذ احمد بظاهره فاوجبها وحمله الجمهور على انه كان في صدر الاسلام
ثم نسخ او ان الكلام في اهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة او
في المضطرين او مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة ثم ان
الامر الذي انما هو لمن وجد فاضلا عن مؤنته اما غيره فلا ضيافة
عليه بل ليس له ذلك واما خبر الانصاري المشهور الذي اثنى الله
ورسوله عليه وعلى امراته بايثارهما الضيف على انفسهما وصبيانهما
حتى نومتهم امهم حتى اكل الضيف فاجيب عما اقتضاه ظاهره
من تقديمهما على ما يحتاجه الصبيان بانهم لم يشتد حالهم للاكل
وانما خاف ابواها ان الطعام لو قدم للضيف وهم مستيقظون
لم يصبروا على الاكل منه وان لم يكونوا جياعا وقد افاد حديث
الضيافة ثلاث الى اخره انها ثلاث مراتب حق واجب اي لا بد منه
في اتباع السنة ومعروف مستحب دون ذلك وصدقة لجميع الصدقات
وقدم الجار على الضيف لمصاحبته ولزومه تنبيه قال
الطوفي ظاهر الحديث توقف الايمان على اكرام الضيف والجار
وقول الخير او الصمت وليس مرادا فهو مما على المبالغة في الاستجلاب
الى هذه الافعال كما تقول لولدك ان كنت ابني فاطعني تحريضا
وتهييجا على الطاعة لا على النفي بان بانتفاء طاعته ينتفي كونه ابنه
او على ان المتوقف على هذه الاشياء كمال الايمان كما لا حقيقة
رواه البخاري ومسلم وكذا احمد والترمذي وابن ماجة عن ابي
هريرة وعن ابي شريح الخزاعي الكعبي وهو من القواعد المعظمة
العممية وجميع اداب الخير متفرعة منه وهو من جوامع الكلم لاشتماله
على امور ثلاثة تجمع مكارم الاخلاق القولية والفعلية وحاصله

علامات السعادة احدى عشر خصلة اولها ان يكون زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة الثاني ان تكون همته للعبادة وقراءة القرآن
الثالث قلة القول فيما لا يحتاج اليه الرابع ان يكون محافظا على الصلوات الخمس الخامس ان يكون ورعا فيما قل او كثر من الحرام
والشبهات السادس ان تكون صحبته مع الصالحين السابع ان يكون متواضعا غير متكبر الثامن ان يكون سخيا كريما التاسع
ان يكون رحيما على خلق الله تعالى العاشر ان يكون نافعا للخلق الحادي عشر ان يكون ذاكرا للموت كثيرا وعلامة الشقي احد عشر
خصلة اولها ان يكون حريصا على جمع المال الثاني ان يكون نهمته في الشهوات واللذات في الدنيا الثالث ان يكون فحاشا في القول
مكثارا الرابع ان يكون متهاونا للصلاة الخمس الخامس ان تكون صحبته مع الفجار السادس ان يكون سيء الخلق السابع ان يكون
متكبرا مختالا فخورا الثامن ان يمنع منفعته للناس التاسع ان يكون قليل الرحمة للمسلمين العاشر ان يكون بخيلا الحادي
عشر ان يكون ناسيا للموت والله اعلم

سمرقندي
م

ان من كان كامل الايمان يكون متصفا بالشفقة على خلق الله
قولا بالخير او سكوتا عن الشر او فعلا لما ينفع او تركا لما يضر
الحديث السادس عشر حديث ابي هريرة ان رجلا
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب ابهم الرجل
في هذه الرواية وعينه في رواية احمد وابن حبان والطبراني
انه جارية بالجيم بن قدامة وفي حديث الطبراني انه سفيان
بن عبد الله الثقفي قال قلت يا نبي الله قل لي قولا انتفع به
واقلل وفي حديث له اخر انه ابو الدرداء قال قلت يا رسول
الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة وفي
حديث ابي يعلى انه ابن عمر قال قلت يا رسول الله قل لي قولا
واقلل لعلي اعقله وفي حديث احمد عن ابن عمر دلني على ما يباعدني
من غضب الله زاد ابو كريب عن ابن عباس عند الترمذي ولا
تكثر علي لعلي اعيه والظاهر كما قاله الولي العراقي ان السايل
عن ذلك تعدد فردد مرارا اي كرر السايل السوال يلتمس انفع
من ذلك او اعم او ابلغ فلم يزده على ذلك واعادها له حيث
قال لا تغضب علما منه بعموم نفعها لما فيه من جلب المصالح ودرء
المفاسد وفي رواية ابي كريب كل ذلك يقول لا تغضب وفي رواية
عثمان بن ابي شيبة لا تغضب ثلاث مرات فافصح فيها ببيان عدد
المراد وقد جاء في حديث انس ان المصطفى صلى الله عليه وسلم
كان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه وانه كان لا يراجع بعد ثلاث
وزاد احمد وابن حبان في روايتهما عن رجل لم يسم قال ففكرت
فيما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله وبتركه تندفع الشرور
لان الانسان في مدة حياته بين لذة والم وسبب اللذة هو

ثوران الشهوة لنحو اكل او شرب او نكاح او دفع الالم والمكروه
سببه ثوران الغضب ثم كل من اللذة والالم قد يكون تناوله
او دفعه مباحًا كنكاح الزوجة ودفع قاطع الطريق وقد
يكون حرامًا كالزنا وقتل المسلم عدوانا وهذا القسم اعني دفع
المكروه عدوانا سببه الغضب فاذا اجتنب الغضب اندفع
عنه نصف الشر بهذا الاعتبار بل اكثره فانه اذا غضب وقع
في شرور ومفاسد لا تكاد تحصى من نحو عداوة وحقد وحسد
واضمار سوء وشماتة وهتك ستر وافشاء سر وشتم وفحش
وطلاق وقذف وهجر مسلم وحلف يحنث به او يندم عليه وغير
ذلك من القبائح كل ذلك مع تخبط في النظم واضطراب في القول
وربما اوقع في الكفر كما وقع لجبلة ابن الاهتم الغساني
حين غضب من لطمة اخذت منه قصاصًا وبالجملة فالشر انما
يصدر على الانسان بشهوة كالزنا او غضب كالقتل فهما اعني
الشهوة والغضب اصل الشرور ومبدوها ولهذا لما تجرد
الملائكة عن الشهوة والغضب تجردوا عن جميع الشر والبشرية
ففي تسكينه عند هيجانه خير كثير ودفع شر كبير وليس
النهي عن نفس الغضب لانه جبلي في دفعه بل عن تعاطي
اسبابه الحاملة عليه من نحو كبر فانه اعظم اسبابه لكونه يقع
عند مخالفة امر يريده فيحمله الكبر على الغضب واذا
فرط منه يرد نفسه عن امضائه والعمل بموجبه فيكظم غيظه
بالحلم ويتفكر في عظم سطوة الله فيحذر عقابه قال
الطوفي في التحقيق ان الانسان اما مغلوب للطبع الحيواني
فهذا لا يمكنه دفع الغضب وهو غالب الناس فهذا مأمور

بعد وقوعه بعدم امضايه وانفاذه واما غالب للطبع بالرياضة
فيمكنه دفعه من اصله والا كان الامر بترك الغضب تكليفا بما
لا يطاق وقال بعضهم السايل كان غضوبا وكان المصطفى صلى
الله عليه وسلم يامر كل احد بما هو اولى به وانفع له فلهذه
اقتصر في وصيته له على ترك الغضب قال البيضاوي لما راي
ان جميع المفاسد التي تعرض للانسان انما هي من شهوته ومن
غضبه وكانت شهوة السايل مكسورة فلما سال عما يحترز به
من القبايح نهاه عن الغضب الذي هو له اعظم ضررا من غيره
وانه اذا ملك نفسه عند حصوله كان قد قهر اقوى اعدايه
ويحتمل كونه من التنبيه بالاعلى على الادنى لان عدو الانسان
شيطانه ونفسه والغضب انما ينشا عنهما فمن جاهدهما
حتى يغلبهما كان لقهر نفسه عن الشهوة اقوى قال بعضهم
خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة في الانسان فمهما
حولف في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر
الوجه والعينان من الدم لان البشرة تحكي لون ما وراءها
وهذا اذا غضب على من دونه ممن يقدر عليه فان كان
فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب
فيصفر اللون حزنا وان كان نظيره تردد الدم بين انقباض
وانبساط فيحمر ويصفر ويترتب على الغضب تغير الظاهر
والباطن كتغير اللون والرعدة في الاطراف وخروج الافعال
على غير ترتيب واستحالة الخلقة حتى لو راي الغضبان
نفسه حال غضبه سكن غضبه حياء من قبح صورته هذا
كله في الظاهر اما الباطن فقبحه اشد ومن تامل ما يترتب

على الغضب من المفاسد عرف قدر ما اشتملت عليه هذه الكلمة
النبوية من الحكمة وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الديني
ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا انتهك عنده شي من
المحرمات من اشد الناس غضبا وكان بين عينيه عرق يدره
الغضب فهذا من الغضب للدين وقد كان موسى عليه السلام
من اشد الناس غضبا لله ومن ثم القى الالواح وضرب
الحجر الذي فر بثوبه حياء من الله ان يراه عريانا وكان
اذا غضب لله خرج شعره من قلنسوته ومدرعته كسلا النخل
واعلم ان للغضب دوا مانع ورافع فالمانع يذكر فضيلة الحلم
وما جاء في كظم الغيظ من الفضل وما ورد في عاقبة ثمرة الغضب
من الوعيد وخوف الله عز وجل كما حكى عن بعض الملوك انه كتب
ورقة فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السما ويل لسلطان
الارض من سلطان السما ويل لحاكم الارض من حاكم السماء
اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ثم دفعها الى وزيره
وقال اذا غضبت فادفعها الي فجعل الوزير كلما غضب الملك
دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه والرافع للغضب نحو
ما ذكرناه عن الملك وان يستعيذ من الشيطان ويتوضا كما
جاء في الحديث وان غضب وهو قايم قعد او وهو قاعد اضطجع
كما في حديث والقصد ان يبعد عن هيئة الوثوب والاسرع
الى الانتقام ما امكن حسما لمادة المبادرة قال الطوفي
واقوى الاشيا في دفعه استحضار التوحيد الحقيقي العام
وانه لا فاعل في الوجود الا الله وكل فاعل غيره فهو آلة فمن توجه
اليه مكروه من جهة غيره فاستحضر ان الله تعالى لو شاء لم يكن
ذلك الغير من الدفع غضبه لانه لو غضب والحالة هذه كان

عضبه اما على الخالق وهو جرآة تنافي العبودية او على المخلوق
وهو اشراك ينافي التوحيد وهذا جاء في الحديث عن انس
خدمت المصطفى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء
فعلته لم فعلته ولا لشي لم افعله لم لم تفعله لكن يقول قدر
الله وماشا فعل ولو قدر لكان ما ذاك الا لكمال معرفته بان
لا فاعل ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضار الا الله وما سواه
آلة للفعل كالسيف للضارب فعلى هذا الفاعل في الوجود
هو الله وحده وله آلات كبرى وصغرى ووسطى فالكبرى
من له قصد واختيار كالانسان الضارب بالعصى والصغرى
ما لا قصد له ولا اختيار كالعصى المضروب بها والوسطى ما لا
قصد له ولا عقل له كالدابة تر[illegible] وبذلك يظهر السر في امر
المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن غضب ان يستعيذ من الشيطان
لانه اذا توجه الى الله في تلك الحالة بالاستعاذة منه امكنه
استحضار ما ذكر واذا استمر الشيطان متمكنا من الوسوسة
لم يمكنه من استحضار شي من ذلك رواه البخاري في الادب
وهو من بديع جوامع كلمه التي خص بها ولهذا قال ابن التين
جمع في هذه اللفظة خير الدنيا والاخرة الحديث السابع
عشر عن ابي يعلى قال الطوفي مضارع على يعلى مثل رضي يرضى
وعلى هذا الوزن يرقى وقيل عبد الرحمن شداد بالتشديد
بن اوس بفتح فسكون فمهملة بن ثابت الانصاري المدني
الشاعر ابو حسان بن ثابت له ولابيه صحبة نزل بيت المقدس
مات بالشام عام ثمان وخمسين او غيرها وقيل بفلسطين
قال بن رسلان وهو اقرب لان اهل بيت المقدس يذكرون
انه مدفون عندهم يظهر الصور عنه صلى الله عليه وسلم قال

ان الله كتب اي اوجب وفرض او اثبت او طلب والاول
هو موضوع عند اكثر اهل العرف وفيه كما قال الطيبي مبالغة
ليست في غيره لان الاحسان هنا مستحب وقال بعضهم
الثاني اولى لشموله للمندوب ومكملاته والكتب يطلق بازا
معان كثيرة منها الفرض والتقدير الاحسان على كل شي
اي في كل شي او الى كل شي وعليه فيكون المكتوب عليه غير
مذكور قال الحافظ الزين العراقي والاكمل على بمعنى في
اي في كل شي فضمن على معنى في قالا ويحتمل ان تكون
على على معناها ويكون المراد بالشي المكلف اي كتب على
كل واحد مكلف وقال الشارح الطوفي يحتمل انها على
بابها والتقدير كتب الاحسان في الولاية على كل شي
والاحسان هنا بمعنى الاتيان به على وجه حسن ذكره
الاكمل وقال غيره المراد به هنا ما حسنه الشرع لا العقل
خلافا للمعتزلة فالمطلوب تحسين الاعمال المشروعة
بايقاعها بكمالاتها المعتبرة شرعا واعلم ان الموجود
اما قديم او حادث والقديم لا حاجة به الى الاحسان
اليه فانه غني بذاته عن احسان كلما سواه والحادث
اما عرض ولا يتاتى الاحسان اليه لعدم احساسه ونمائه
او جوهر وهو اما جماد او نبات او حيوان والجماد كالعرض
لا يمكن الاحسان اليه لعدم احساسه ونمائه والحيوان
والنبات يتاتى الاحسان اليهما لاشتماله على قوة الحس
والنما وحينئذ فيحسن الى نفسه بان لا يوردها موارد
السو ولا يظلمها بمعصية ولا يطيعها في كل ما تريد ولا يهينها

بسؤال او شفاعة غيظ والى اهله بان يحسن عشرتهم والى
خدمهم بان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم والى الاخوان
بان لا يغشهم بل ينصح لهم ويحمل اذاهم ويكرم مثواهم والى
الحيوان بان لا يجيعه ولا يعطشه وان لا يكلفه على الدوام
ما لا يطيقه والى النبات فيتعهده لاحتياجه الى النمو والى
الانبيا بان يومن بهم وبما جاوا به عن ربهم ويعتقد كمالهم
وانهم معصومون عن الكباير والصغاير وانهم صفوة الله
وخلص عباده والى جميع الناس بان يعلمهم ما ينفعهم في
معاشهم ومعادهم ويرشدهم الى سبيل الخيرات وتجنب
المنكرات والدعا لعتاتهم بالتوفيق ولكفارهم بالهداية
الى الاسلام والى الملايكة بان يومن بوجودهم ويعتقد
انهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون وانهم ليسوا اناثا ولا ذكورا ويحسن عشرتهم
فلا يفعل ما تكرهه الحفظة ولا ياكل ما له ريح كريهة والى
الجن بان يدعوهم الى الخير وترك الشر وينوبهم سلام الصلاة
وغير ذلك والى شياطينهم بالدعا لهم كلكفار الانس بالاسلام
فمن احسن في ذلك كله فقد اوتي خيرا كثيرا ووقي شرا كبيرا
ولكن دونه خرط القتاد وهذا كله داخل تحت نطاق
قوله كل شي فانه قضية كلية مسورة بكل شاملة لجميع جزئيات
الدين قال الطوفي وقوله على كل شي فهو قاعدة الحديث
الكلية ثم ذكر من جزئياته التخفيف في القتل والذبح اما
لان سبب الحديث الذي هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم

كانوا

كانوا يمثلون فى القتل بجدع الانف وصلم الاذن وقطع
اليد والرجل وبقر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون
بنحو مدية كالة وعظم وقصب وسن وظفر مما يعذب
الحيوان واما لان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى
فاذا طلب الاحسان فيهما ففى غيرهما اولى ففى فاذا
قتلتم قودا او حدا اذ لا قتل فى الشرع غير ذلك فاحسنوا
في غير قاطع الطريق وزان محصن لافادة نصوص اخرى
التشديد فيهما وغير نحو حشرات وسباع فلا حظ لها
في الاحسان على ما قيل لكنه عليل اذ وجوب قتلها لا
ينافى احسان كيفية القتلة بكسر القاف هيئة القتل
او النوع من القتل او الحالة التى عليها القاتل في قتله
بل بان يختاروا اسهل الطرق واخفها ايلاما واسرعها عما
ازهاقا لكن تراعى المثلية فى القاتل في الهيئة والآلة
ان امكن والا كاللوط وسحر فالسيف ويجب فى القتل
به كونه حادا واما ما ورد ان ناسا من عرينة ارتدوا
وساقوا نعم المصطفى صلى الله عليه وسلم فقطعوا ايديهم
وارجلهم وسمر اعينهم وقتلهم فى الحرة حتى ماتوا فانهم
فعلوا بالرعاة كذلك واذا ذبحتم بهيمة تحل فاحسنوا
وجوبا الذبحة بالكسر اي هيئة الذبح بالرفق بها
فلا يصرعها ولا يجرها للذبح بعنف وباحداد الالة
وتوجيهها للقبلة والتسمية والاجهاز ونية التقرب
بذبحها وشكر الله حيث سخرها لنا ولم يسلطها علينا
ولا يذبحها بحضرة اخرى سيما بنتها او امها فيحرم

وما ذكر من نية التقرب بها وعد شكر الله على ذلك من
افراد احسان الذبحة هو ما وقع للشارح وليس بقويم
لان الكلام في احسان هيئة الذبح كما تقرر فلا دخل
للنية وشكر الله في هيئته وان كان شكر المنعم بذلك
واجبا كما هو جلي قال المولف وقوله الذبحة بكسر
الذال المعجمة وبالهاء في كثير من النسخ وفي اكثرها بفتح
الذال وبغير هاء وليحد احدكم سكون اللام للامر
وبضم اليا وكسر الحاء من احد شفرته وجوبا في الكالة وندبا
في غيرها وهي السكين واصل الشفرة حد السكين فسميت به تسمية
الشي باسم جزيه وينبغي مواراتها عنها حال حدها للامر به
في حديث فمن خالف شيا من ذلك فقد فوت الاحسان
اليها وليرح بضم المثناة تحت من اراح اذا حصلت له راحة
ذبيحته بسقيها عند الذبح واضجاعها برفق على شقها الايسر
بمكان سهل غير وعر ومر السكين عليها بقوة ليسرع موتها فترتاح
وبالامهال بسلخها حتى تبرد وعطف هذا على ما قبله لبيان فايدة
اذ الذبح يعذبها فراحتها بذبحها بآلة ماضية والذبيحة فعيلة
بمعنى مفعوله اي مذبوحة باعتبار ما يوول اليه وياوها للنقل
من الوصفية الى الاسمية لان العرب اذا وصفوا بفعيل مونثا
وذكروا الموصوف حذفوها من فعيل اكتفا بتانيث الموصوف
ثم قيل امراة قتيل وعين كحيل وشاة ذبيح فاذا احذفوا
الموصوف عوضوا عنه التا لعدم ما يدل على التانيث فيقال
رايت قتيلة بني فلان وذبيحتهم ثم يعرب بحسب العامل اسما لا
صفة هذا ولا يعزب عنك ما قال الخطابي ان العلما كانوا

ورثة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وبما ورثوا منهم تعليم
الناس كيفية الاحسان الى كل شى الهم الله الاشيا ان تستغفر
لهم مكافاة لهم على ذلك ومن ثم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم
ان العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتا ن
فى البحر قال الطوفي وذكر عن بعض العلما الصلحاء
انه كان يقرا ويذكر ويسبح ويهدي ثوابه لكل عبد صالح في
السما والارض فينبغي لمن وفق فعل ذلك قال وقد صح
لى عن بعض من كان يفعل ذلك صحة قاطعة لا ريب فيها
انه راى ليلة فى نومه بعد ان اهدي ثوابه اليهم انه عرج
به الى السماء وخرج للقايه كل من فيها من الانبيا والملايكة
فكان يرى ان ذلك دليلا على صدق انه يصل اليهم ما اهدا ٥
لهم قال فلا يكسل الانسان ان يقرا سورة الاخلاص
مثلا فانها تعدل ثلث القران او يسبح او يحمد او يكبر او يهلل
ثم يقول اللهم اثبني على قراءته وذكره واجعل ثوابه هدية
مني لكل عبد صالح فى السما والارض فانه اذا قبل وصل اليهم
اجماعا قال ابن ابي جمرة وفى الحديث رحمة الله بعباده
حتى في حال القتل وامر بالرفق فيه ويوخذ منه قهره لجميع
عباده لانه لم يترك لاحد التصرف فى شى الا وقد جعله فيه
كيفية رواه مسلم وكذا الامام احمد واصحاب السنن الاربعة
وهو من قواعد الدين العامة فهو متضمن لجميعه لان الاحسان
فى الفعل ايقاعه على مقتضى الشرع او العقل ثم الافعال التى
تصدر عن الشخص اما ان تتعلق بمعاشه او معاده والمتعلق
بمعاشه اما سياسة نفسه او بدنه او سياسة اهله واخوانه

وملكه او سياسة باقي الناس والمتعلق بمعاده اما الايمان
وهو عمل القلب او الاسلام وهو عمل البدن كما مر في حديث جبريل
عليه السلام فاذا احسن الانسان في هذا كله واتى به على مقتضى
الشرع حصل على كل خير وسلم من كل شر ووقي بجميع عهد الشرع
ولكن دون ذلك خرط القتاد والبعد بما دون سهاد

الحديث الثامن عشر عن ابي ذر بفتح الذال المعجمة
الغفاري بكسر المعجمة وتخفيف الفاء واسمه جندب بضم الجيم والدال
بن جنادة بضم الجيم وبالنون وقيل يزيد بن جندب وقيل
جندب بن السكن وقيل بن عمرو وقيل بن عبد الله وقيل غير
ذلك والاول اصح فلذلك اقتصر عليه المولف اسلم رابع اربعة
وحديث اسلامه واقامته عند زمزم مشهور وتقدمت هجرته
ولم يشهد بدرا سيره عثمان رضي الله عنه الى الربذة فمات بها
عام ثنتين وثلاثين ومناقبه كثيرة وناهيك بشهادة المصطفى
صلى الله عليه وسلم انه اصدق الناس لهجة والمرتضى بانه وعاء
ملاء علما ثم وكي عليه وابي عبد الرحمن معاذ بضم الميم وفتح المهملة
وبالمعجمة بن جبل ضد السهل بن عمرو بن اوس الانصاري من
كبار الصحب وعلمائهم لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم ياتي
معاذ يوم القيامة امام العلماء برتوة شهد بدرا وما بعدها
وكان اليه المنتهى في الفقه والقران وهو احد السبعين الذين
شهدوا العقبة من الانصار بعثه المصطفى صلى الله عليه وسلم
الى اليمن قاضيا ومعلما وجعل اليه قبض صدقات العمال مات
بالشام في طاعون عمواس عنه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر
ولمعاذ اولهما وافراد الضمير على تقدير كل او هو خطاب لكل من ياتي

كان ابو ذر طوالا آدم وكان يتعبد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم اسلم بمكة قديما وقال كنت في الاسلام رابعا رجع الى قومه واقام بها حتى مضت بدر واحد والخندق ثم قدم المدينة
وكان شجاعا ينفرد ويقطع الطريق ويغير على الصرم كانه السبع ولما قذف في قلبه الاسلام وسمع بالنبي صلى الله عليه وسلم اتاه وقال رضي الله عنه صليت قبل ان القى رسول الله ثلاث سنين لله تعالى
قيل له فاين كنت توجه قال حيث وجهني الله تعالى وقيل ان رجلا دخل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته ثم قال يا ابا ذر اين متاعكم قال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا قال انه لا بد لكم من
متاع ما دمتم ههنا قال ان صاحب البيت لا يدعنا فيه وانه رضي الله عنه قال والله لو تعلمون ما اعلم ما انبسطتم الى ولا تقاررتم على فرشكم والله لوددت ان الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد
وتوكل ثمرها وعنه رضي الله عنه انه قال الصاحب الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من صاحب السوء ومملي الخير خير من الصامت والصامت خير من مملي الشر انتهى من شرح الكبير
وعن ام ذر قالت لما حضر ابو ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك فقلت وما لي لا ابكي وانت تموت بفلاة من الارض ولا بد لي من غسلك وليس معنا ثوب يسعك كفنا ولا لك فقال لا تبكي وابشري
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار ابدا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل
منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وما من اولئك النفر الا وقد مات في قرية او في جماعة واني انا الذي اموت بفلاة والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق فقلت انى وقد ذهب
الحاج وانقطعت السبل فجعلت اصعد الى الكثيب ثم ارجع فامرضه قالت فبينما انا كذلك اذا انا برجال على رواحلهم كانهم الرخم فالحت بثوبي فاسرعوا الي ووضعوا السياط في نحورها يستبقون الي
فقالوا ما لك يا امة الله فقلت امرؤ من المسلمين تكفنونه يموت قالوا ومن هو قلت ابو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم ففدوه بابائهم وامهاتهم واسرعوا حتى
دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار ابدا وسمعته يقول
لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المومنين وليس منهم اولئك النفر احد الا وقد هلك في قرية او جماعة
وانا الذي اموت بفلاة والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو يكون عندي ثوب يسعني كفنا او لامرأتي ثوب يسعني كفنا لم اكفن الا في
ثوب هو لي او لها واني انشدكم بالله لا يكفني منكم رجل كان اميرا او عريفا وليس منهم اولئك القوم احد الا وقد قارف من ذلك شيئا
الا فتى من الانصار قال انا اكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين من غزل امي فكفنه الانصاري ودفنه في نفر منهم قارعة الطريق رحمه الله تعالى

توجيه الخطاب نحوه فيعم كل مامور ولا يختص به مخاطب
دون اخر اتق الله اي امتثل ايها المكلف اوامره واجتنب
نواهيه حيثما كنت اي وحدك او في جمع فان كانوا اهل
بغي او فجور فعليك بخاصة نفسك او المراد في كل مكان
وان كنت فيه اطلع عليك الناس ام لا فان الله مطلع
عليك واتق الله ان الله كان عليكم رقيبا وناظر اليك
فانه معك اينما كنت ما يكون من نجوى ثلثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا
اكثر الا هو معهم واحذر ان يفقدك حيث امرك او يراك
حيث نهاك ولهذا قال بعضهم اذا اردت ان تعصي الله
فاعصه حيث لا يراك او اخرج من داره او كل رزق غيره
وحيث موضوعة للمكان وقد يستعار لجهة الشي كما يقال
موضوع هذا العلم كذا من حيث هو كذا وما زايده وهذا
من جوامع الكلم فان التقوى وان قل لفظها كلمة جامعة
لحق الله بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا
يكفر بقدر الامكان ولهذا شملت خير الدارين اذ هي تجنب
كل منهي وفعل كل مامور وجميع احكام التكليف لا تخرج عن
الامر والنهي فاذا اتقى الله بفعل ما امر وترك ما نهي
فقد قام بجميع وظايف التكليف فمن فعل ذلك فهو من
المتقين الذين اثنى الله عليهم في كتابه المبين وقال
بعض العارفين طريق الوصول الى علم طريق الاخرة
والمنازلات والمكاشفات التقوى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي

اطلعناهم على العلوم المتعلقة بالعلويات والسفليات
واسرار الجبروت وانوار الملك والملكوت ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والرزق روحاني
وجسماني اتقوا الله ويعلمكم الله اي يعلمكم ما لم تكونوا
تعلمونه بالوسايط من العلوم الالهية وقال بعض الكاملين
من علامة التحقيق بالتقوي ان ياتي المتقي رزقه من حيث
لا يحتسب واذا اتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوي
ولا اعتمد على الله فان معنى التقوي ان يتخذ الله وقاية
من تاثير الاسباب في قلبه باعتماده عليها والانسان ابصر
بنفسه وهو يعلم من نفسه بمن هو اوثق وبما تسكن اليه نفسه
ولا يقل ان الله امرني بالسعي على العيال واوجب مؤنتهم وحرم
اضاعتهم فانا لم نقل له لم تعمل فيها بل نهيناه عن الاعتماد
عليها والركون اليها والسكون عندها فان وجد القلب
يسكن اليها فليتهم ايمانه وان وجد قلبه ساكنا مع الله
واستوي عنده حالة وجود السبب المعين وفقده فهو الذي
لم يشرك بالله شيا وان اتاه رزقه من حيث لا يحتسب فهو
من المتقين حقا ثم نبه المصطفى صلى الله عليه وسلم على تدارك
ما عساه يفرط من تقصير في بعض الاوامر وتورط في بعض
النواهي واتبع السيئة الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة
على ما ياتي تقريره يعني الحق الحسنة اياها صلاة او صدقة
وان قلت او تسبيحا او تهليلا او استغفارا او غير ذلك تمحها
مستانفة للتعليل اي اتبع السيئة الحسنة ليمحو الله بها
اثارها من القلب او من صحيفة الكاتبين ان الحسنات

يذهبن

يذهبن السيات يعني فلا تعجز اذا اتيت سيئة بقلبك او
لسانك او جوارحك ان تتبعها حسنة مما ذكر ولو بان تقول
سبحان الله وبحمده فانه احب الكلام الى الله والحمد لله تملأ الميزان
وفي الصحيح كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم ثم ان كانت السيئة صغيرة كفاك
الذكر اليسير او كبيرة فاكثر من ذلك وعلم من ذلك ان
المكلف لا يستغني في حال من الاحوال عن محو اثار السيات
عن قلبه بمباشرة حسنات تضادها لاثارها تلك السيات ه
فسماع الملاهي يكفر بسماع القران وبمجالس الذكر وشرب الخمر
بالتصدق بكل شراب حلال وعليه فقس لان المرض يعالج بضده
فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضا دها
فالبياض يزال بالسواد لا بغيره وعكسه وحب الدنيا اثر
السرور بها في القلب فلا جرم كفارته كل اذى يصيب المسلم
من هم وغم وكرب وغيرها كذا قرره الغزالي وهو ذاهب
منه الى ان الكبيرة كما تكفرها التوبة يكفرها الطاعات والجمهور
على انه لا يكفرها الا التوبة قال ابن العربي والحسنة تمحو
السيئة سواء كانت قبلها ام بعدها وكونها بعدها اولى
اذ الافعال تصدر عن القلوب وتتاثر بها فاذا فعل سيئة
فقد تمكن في القلب اختيارها فاذا اتبعها حسنة نشات عن
اختيار في القلب فيمحو ذلك وظاهر قوله تمحها انها تزال
حقيقة من الصحيفة بعد كتبها لانه المتبادر الى الفهم اذ
الاصل الحقيقة وجوز البعض كون محوها كناية عن ترك
المواخذة فلا تمحى ليوم القيمة ثم ظاهره ايضا ان الحسنة

وان كانت بعشر امثالها لا تمحو الا سيئة واحدة والتضعيف
لا يمحو شيئا وليس مرادا بل يمحو عشر سيئات بدليل قول
المصطفى صلى الله تكبرون دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا
وتسبحون عشرا فذلك مائة وخمسون باللسان والف وخمسمائة
بالميزان ثم قال ايكم يعمل في اليوم الواحد الفا وخمسمائة سيئة
فانه شاهد صدق بان التضعيف يمحو السيئات وخص من
عمومه السيئة المتعلقة بحق الادمي كغصب وغيبة ونميمة فلا يمحوها
الا الرد والاستحلال ولا بد من بيان جهة الظلامة فان تعذر بان
مات او غاب اكثر من الاستغفار والدعاء له والصدقة فالمرجو
لمن فضل الله تعالى ان ذلك يكفيه ثم اعلم انه لا خلاف كما في
شرح المقاصد وغيره في العفو عن الصغاير مطلقا اما عن الكباير
بدون توبة فاثبته ائمتنا تمسكا بنحو ويعفو عن السيئات ويعفو
عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وغير ذلك مما يشهد به بدونها
الايات والاخبار العامة فيهما وتخصيصهما بالصغاير او بما بعد
التوبة او حملها على تاخير العقوبة المستحقة او غير ذلك مع كونه
عدولا عن الظاهر تخصيص للعام بلا مخصص وتقييد للاطلاق
بلا قرينة ومخالفة لاقوال المفسرين بلا ضرورة ولصحايح
الاخبار مما لا يصح في بعضها دون بعض اذ المغفرة بالتوبة لا تخص
ما دون الشرك بل تعمهما ولا يلايم التعليق بالمشية المفيدة
للبعضية ومنعه المعتزلة بدونها تمسكا بما ورد في وعيد
العصاة ورد بانه بفرض عمومه يدل على الوقوع دون الوجوب
وقد وردت نصوص كثيرة في الوعد بالعفو كما مر فهم داخلون

في عمومات الوعد به وخالق الناس بخلق حسن اي
تكلف معاشرتهم بالمحاملة من نحو طلاقة وجه وخفض
جانب وعدم ظن السوء بهم والتلطف في سياستهم مع تباين
طبايعهم يقال فلان يتخلق بغير خلقه اي يتكلفه وجمع هذا
بعضهم في قوله هو ان تفعل معهم ما تحب ان يفعلوه معك
وبذلك تجتمع القلوب وتتفق الكلمة وتنتظم الاحوال
وذلك جماع الخير وملاك الامر والخلق بالضم الطبع
والسجية وعرفا ملكة نفسانية تحمل على فعل الجميل وتجنب
القبيح كذا ذكره الشارح الهيتمي وليس بصواب فانه
تفسير لمطلق الخلق بالخلق الحسن وهو فاسد وقد تكفل
حجة الاسلام الغزالي بتعريفه على طرف التمام فقال
الخلق هيئة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر
من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث
تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت
تلك الهيئة التي هي المصدر خلقا حسنا وحسن الخلق وان كان
جبليا لكن في الحديث رمز الى امكان اكتسابه والا لما صح الامر
عام خص بمستحقه تخرج الكفار والظلمة فاغلظ عليهم
ثم هذا الحديث من القواعد المهمة لابانته لخير الدارين
وتضمنه لما يلزم المكلف من رعاية حق الحق والخلق وقال
بعضهم هو جامع لجميع الاحكام الشرعية اذ لا يخرج عن شي
وقال بعضهم فصل فيه تفصيلا بديعا فانه اشتمل على
ثلاثة احكام كل منها جامع في بابه ومرتب على ما قبله رواه
ابو عيسى الترمذي في جامعه وقال في بعض نسخه حسن
فقط وقال في بعض النسخ اي نسخ جامعه حسن صحيح

قال ابو العتاهية
عامل الناس بوجه طليق ٭ والقهم تلق بشر رفيق
فاذا انت جميل الثنا ٭ واذا انت كثير الصديق
وقال غيره
وما اكتسب المحامد طالبوها ٭ بمثل البشر والوجه الطليق
وقال غيره
وما حسن ان يمدح المرء نفسه ٭ ولكن اخلاقا تذم وتمدح
وقال بعضهم
لاق بالبشر من لقيت من النا ٭ س وعاشر بامن بغير الخلاف
لا تخالف وان اتوا بخلاف ٭ تستدم ودهم الى الانصاف
واذا اخفت فظ غيظك فاغضض ٭ سمعا عنهم ان تداعوا بتنافي
انما الناس ان تاملت داء ٭ ما لدعيه الفضل اعفى عنه
وقال بعض
سالزم نفسي الصبر عن كل مذنب ٭ وان كثرت مني عليه الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلاثة ٭ شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف فضله ٭ والزم نفسي الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ٭ مقالته نفسي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا ٭ تفضلت ان الفضل بالعز حاكم

اي حسن عند قوم وصحيح عند اخرين ورواه عن ابي ذر ايضا
الامام احمد والحاكم وقال صحيح على شرطهما واقره الذهبي
وغيره ورواه ايضا البيهقي في الشعب والضيا المقدسي
في المختارة والدارمي في مسنده عن ابي ذر ايضا باللفظ
المذكور باسناد صحيح ورواه البيهقي في الشعب والطبراني
عن معاذ ايضا قال الذهبي في المهذب اسناده حسن
ورواه الطبراني وابن عساكر في تاريخه عن انس باسناد
ضعيف والحاصل انه من طريق ابي ذر اسناده صحيح ومن
طريق معاذ اسناده حسن ومن طريق انس ضعيف والمتن
صحيح قطعا فلا تغتر بمن طعن فيه الحديث التاسع
عشر عن ابي العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
حبر الامة ترجمان القران حنكه المصطفى صلى الله عليه وسلم
ودعا له اللهم فقهه في الدين وهو احد العبادلة الاربعة
هو وابن عمر وابن الزبير وابن العاص وقيل بدل ابن العاص
ابن مسعود وهو احد الستة المكثرين الرواية وهم ابن عمر
وابو هريرة وعائشة وجابر وانس قال ابن رسلان وابن
عباس اكثرهم وكان على غاية من التحري والاتقان سيل عن
نكاح التفويض اذا مات الرجل قبل الدخول والفرض فبقي
شهرا لا يجيب فقالوا مالنا غيرك يجيب فقال لهم اذا عزمتم
فاجتهد فان اصبت فبفضل الله وبرحمته وان اخطات فمني
ومن الشيطان وصدق الله ورسوله ومناقبه اشهر من ان
تذكر مات سنة ثمان وستين بالطايف وصلى عليه ابن
الحنفيه وقال اليوم مات رباني هذه الامة ولما وضع

نعش

وتمام دعايه له صلى الله عليه وسلم وعلمه التاويل اللهم علمه الحكمة وتاويل القران
اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وثبت انه راي جبريل مرتين وهذا
سبب عمايه في اخر عمره فانه ورد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن راه معه فقال
ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك وفي ذلك يقول

ان ياخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف ماثور

ومناقبه اشهر من ان تذكر

شبرخيتي

نعشه ليصلي عليه طار طاير ابيض حتى وقع على اكفانه ودخل فيها
فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه التراب سمعوا قايلا يقول يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وكان عمره
حين مات المصطفى صلى الله عليه وسلم نحو ثلاث عشرة سنة
قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما اي كنت
رديفا على دابته وهو يوذن بجواز الارداف على الدابة اي حيث
اطاقته فقال يا غلام بضم الميم لانه نكرة مقصودة والغلام هو
الطار الشارب والمراهق ولما كان من بلغ هذا الحد كثيرا ما يغلب
عليه الشبق قيل للشبق غلمة ويطلق الغلام على الرجل مجازا
باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازا وكان سن
بن عباس اذ ذاك نحو عشر سنين وقيل ثلاثة عشر والتعليم
يناسب الصبيان لا الوصية وفيه دليل على ندب نداء السا يل
عند رد الجواب عليه لانه اجمع لخاطره فيكون سببا لتحصيل
جميع ما يلقى اليه فياخذ الاهبة للاصغا ويقبل بكليته ولان
الندا اذا وقع من الفاضل للمفضول يحصل له ابتهاج وسرور
اني اعلمك كلمات استدعا وحث على الاصغا الى ما يريد ان
يعلمه اياه وتنبيه عليه قبل ذكره تشويقا اليه وتنشيطا
لاستماعه ليتمكن في ذهنه فضل تمكن ويقع في نفسه مزيد
موقع اذ حصول الشيء بتشويق وتنشيط الذ من الماء البارد
على الظمآن واكده بان لان المقام بندايه صار مقام ان
يقال هل تريد ان تذكر لي شيا فقال اني اعلمك كلمات
زاد مسلم ينفعك الله بهن وجاء بها بصيغة القلة
ليوذنه بانها قليلة اللفظ كثيرة المعنى فيسهل حفظها

١٢٩

واذنه تعظيم خطرها ورفعة محلها بتنوينها تنوين العظمة
وتاهيله لهذه الوصايا الخطيرة القدر الجامعة من الاحكام
والحكم والمعارف ما يفرق الحصر دليل على ان المصطفى
صلى الله عليه وسلم علم ما يؤول اليه امر ابن عباس من سعة
العلم والمعرفة وكمال الاخلاق والاحوال الباطنة والظاهرة
والتعليم تنبيه النفس لتصور المعاني وربما استعمل في
معنى الاعلام لكن الاعلام اختص بما اذا كان باخبار
سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل
منه اثر في نفس المتعلم احفظ الله اي راع حق الله
وتحر رضاه في حدوده واوامره واتقه فيها ولا يضيع
منها شيا واحفظه في نواهيه ولا تقرب منها شيا يحفظك
اي احفظ حق الله حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والاخرة
في نفسك وجميع امورك وهذا من ابلغ العبارات واوجزها
واجمعها لجميع احكام الشريعة قليلها وكثيرها فهو من جوامع
الكلم التي اختص بها ومصداقه من عمل صالحا من ذكر او
انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة وما يصيب الانسان
من نواكب ونوايب فانما هو بتضييعه اوامر الله وتعديه
حدوده وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم والجملة
منصوبة المحل على انه عطف بيان لكلمات او استئناف
احفظ الله بامر تجده تجاهك اي مقابلك يعني تجد
عنايته معك حفظ الامام لان الامام يحتمل زلات
الماموم ويتكفل بمصالحه وهو حاضر بين يديه بخلاف صاحب
اليمين والشمال وهذا تاكيد لما قبله ولهذا اورده بلا عاطفة

قال الشبرخيتي اي احفظ دين الله بالتمسك والتدبير بان تحفظ اوامره التي اوجبها ونواهيه التي نهى عنها
فتقف عند اوامره التي اوجبها ونواهيه التي نهى عنها فتقف عند اوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب
فلا يراك حيث نهاك فاذا اطعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه احاطك بعقبات من بين يديك ومن
خلفك يحفظونك من امر الله وحقيقة الحفظ صيانة من المخوف من الضياع وان يصل اليه اذى ه

هما

130

لكمال الاتصال بينهما وفي رواية تجده امامك بفتح الهمزة
اي مقابلك كما يأتي وهما في الاصل بمعنى قدامك مما يلي وجهك
لكنه لاستحالة الجهة في حقه تعالى بمعنى معك علما واحاطة
وحفظا ورعاية واعانة فالمعية معنوية لا ظرفية فهو تمثيل
مناسب لكون الانسان في مقاصده انما يطلب تجاهه فكانه
قال تجده اينما كنت وتوجهت وقصدت من امور الدنيا والا خرة
وخص الامام من بين الجهات الست اشعارا بشرف المقصد
وبان الانسان مسافر للاخرة غير قار في الدنيا والمسافر انما
يطلب امامه لا غير فكان المعنى تجده حيثما توجهت وقصدت
من امر الدارين وتجاهك اصله وجاهك بضم واوه وكسرها ثم
قلبت تاء اذا سألت فاسأل الله اي وحده في السوال وخصه
به فان خزاين الوجود بيده وامرها اليه استيناف صدر جوابا
لسوال اقتضاه ما قبله ففصل عنه كما يفصل الجواب عن السوال
كانه قيل اذا كان الله مع عباده فهو المعول عليه في السوال
لا هو فقيل اذا اردت تسال فلا تسال الا الله لانه المختص
بذلك لان الامور كلها راجعة اليه فالاعتماد في كل الامور
عليه اذ لا قادر ولا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا هو
فهو احق ان يقصد سيما وقد قسم الرزق وقدره لكل احد
بحسب ما اراده لا يتقدم ولا يتاخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب
علمه القديم الازلي وان كان يقع في ذلك تبديل في صحف
الملايكة بحسب تعليق على شرط ومن ثم كان للسوال فايدة هي
لاحتمال كون اعطاء المسؤول معلقا على شرط سواله وفي حديث
ان روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل

رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب اي طلب الحلال فبالنظر
لذلك لا فايدة لسوال الخلق مع التعويل عليهم فان قلوبهم
كلها بيد الله يصرفها كيف اراد فوجب ان لا يعتمد في كل الامر
الا عليه لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع له الخلق والامر
وبيد قدرته النفع والضر فبقدر ما يميل العبد الى المخلوق
يبعد عن ربه لضعف يقينه قال بعض العارفين لا تتعد
نية همتك الى غيره فالكريم لا يتخطاه الامال فلا تطلب الا
منه اكتفا به واقتصارا على ما عنده واقتد بهدي الاب
الرحيم ابراهيم الخليل الجليل لما وضع في المنجنيق فاتاه روح
القدس فقال ما حاجتك قال حسبي من سوالي علمه بحالي
فهو تعالى الغني عن التحقيق والمولى لكل خير وتوفيق خزاين
السموات والارض بيده فالواجب على كل احد ان لا يسال
الا الواحد الاحد والاصل كون العبد بين يدي مولاه
لا يسال الا اياه وانما العلل والاسباب لوجود البعد
وارخا الحجاب وبارخايه على عين القلب بقصد غير الرب
ويتجلى الكريم الامال وهذا شان من استولى عليه شهود
الغرق وظن النفع والضر من الخلق واهل الله منزهون
عن ذلك واذا انفت همم المترفعين من ابنا الدنيا سوال
الكريم فاهل الله اولى قال المتنبي

تجنب كرام الناس واستغن عنهم ولا تطلبن الدهر فضل كريم
فان الايادي للكرام مذلة فكيف اذا كانت يد للئيم

هذا حالهم وهم في الحضيض فكيف بمن تعلقت هممهم بمعالي
المقاصد ولم يسالوا الا الكريم على الاطلاق قال بعض

العارفين

العارفين من احتجت اليه هنت عليه فلا تظهر الحاجة
لغير الله ولا تنزلها بسواه فانه يمقت على ذلك ولا
تصيب خيرا والكريم من اذا قدر عفا واذا وعد وفا
واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولم يبال كم اعطا
ولا لمن اعطى وان رفعت لغيره حاجة لا يرضى ولا
يضيع من لاذ به والتجا اليه وليس ذلك الا الله ۞
ومن اتصف بهذه الصفات ينبغي ان لا يسال الا اياه
۞ الله يغضب ان تركت سواله ۞ وابن ادم حين يسال يغضب
ومن سال سوى الكريم دل على انه لئيم دني الهمة قليل
القيمة والقسمة نعوذ بالله من الحرمان وسوء الخذلان
قال بعض العارفين قيل لي في نوم كاليقظة لا تبدين فاقة
لغيري فاضاعفها عليك مكافاة بسوء ادبك انما ابتليتك با لفاقة.
وحكمت لنفسي بالغنا لتفزع منها وتضرع بها الي فان وصلتها
لي وصلتها بالغنى وان وصلتها بغيري قطعت عنك موارد
معونتي وحذف المفعول ليعم كل مسول وبدر الاستاذ ابي اسحق [حيث قال]
ساصدق نفسي ان في الصدق حاجتي ۞ وارضى بدنياي وابغي قلت
تبارك رزاق البرية كلها ۞ على ما اراد لا على ما استحقت
واذا استعنت لي اردت الاعانة على امر من امور الدنيا
والاخرة فاستعن بالله اي وحده في الاستعانة به اذ لا
معين غيره ولا اعتماد ولا استناد الا اليه وهو الذي
بيده العصمة والتاييد والنعمة والتسديد وغيره عاجز
عن كل شي والاستعانة انما تكون بقادر على الاعانة واما
من هو كل على مولاه ولا قدرة له على انفاذ ما يهواه لنفسي

فضلا عن غيره فكيف يوهل للاستعانه او يستمسك بسببه
ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه فهو عن
غيره اعجز ليت العجل يعصم نفسه فاستعانة مخلوق
بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون فلا تستعن الا
بمولاك فهو وليك في اخراك واولاك كيف تستعين
بعبد مع علمك بعجزه من لا يستطيع رفع نازلة عن
نفسه كيف يرفعها عن غيره من ابنا جنسه فلا تستنصر
الا به فهو الولي الناصر ولا تعتصم الا بحبله فانه
العزيز القادر قال بعض العارفين لا تطلب معونة
المخلوق فتتوجه عليك الحقوق وقد لا تفي بها وعليك
بالافتقار والانكسار والذلة والاضطرار الى من يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال بعضهم لا تكن
عبدا الا لمن تقوم مصالحك ويعينك في ماربك وما
تقوم باموركر الا الله فلا تستعن الا به ولا تستعبدك
سواه فهو المسخر لك عباده فافهم وحذف المفعول
للامر واستعمل اذا في الفقرتين للجزم بوقوع الشرط
واعلم ان الامة خطاب لابن عباس والمراد العموم وانما
صدره بالامر موكدا بان حثا على تيقن بانه لا ضر ولا نفع
الا من الله والمراد بالامة هنا جميع الخلق كما صرح به في
رواية احمد وامامه لولها وضعفا الجماعة واتباع
الانبيا والرجل الجامع للخير المقتدي به والدين والملة والزمان
والرجل المنفرد بدينه الذي لا يشركه فيه احد ولو اي ان
ان لان المعنى على الاستقباد كما في قوله تعالى لو تركوا من خلفهم

ونكتة العدول الاشارة الى ان الاجتماع على الانتفاع
من قبيل المستحيل لان الطبايع مجبولة على المخالفة
والمضارة واستعمل في جانب الضرر لان الاجماع على
الاضرار ممكن لكن لا جزم بوقوعه لو اجتمعت على ان
ينفعوك لم ينفعوك الا بشي قد كتبه الله تعالى اي قدره
لك وان اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشي قد
كتبه الله اي قدره عليك لان بيده ازمة المقدورات
ضرا ونفعا وعطا ومنعا فلا ترجوا خيرا من تحب ولا
تجد شرا من تخاف اذ ليس لفعل مخلوق تاثير في ذلك
وان اجراه الله على يديه لانه مجرد واسطة في ايصاله
اليك اذ هو تعالى الضار والنافع بدليل وان يردك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد
لفضله فالمعنى وحد الله في لحوق الضر والنفع فهو
الضار النافع ليس لاحد معه شي وبيانه ان ازمة
الموجودات بيده منعا واطلاقا فاذا اراد زيد مثلا
ضر عمرو بما لم يكتب عليه صد الله ذلك الضر عنه بان
يمنع زيدا من مراده او شغل او نسيان او صرف قلب
وان تعارض فعل زيد بما يبطله كان يريد زيد رمي
عمرو بسهم ويريد الله دفع كيده فيمنع زيدا عن الرمي
باضعافه عن مد القوس او معارضة سهم بما منع
اصابته واذا اردت ان تعرف تصاريف الاقدار
في الوجود فانظر الى رقعة الشطرنج كيف بعض
قطعها يحمي بعضا وبعضها يقتل بعضا فكذا اسباب

المقادير في الوجود ويمنع وصول الشر الى زيد وبعضها
يوصلها الى عمرو ٥ مصايب قوم عند قوم فوايد ٥ ولعل
تستغرق هذا فان تاملت وجدته كذلك وهذا تاكيد
وتقرير لما قبله من الايمان بالقدر خيره وشره وتوحيده
تعالى المؤثر في الوجود ومن تيقن ذلك لم يشهد ضره
ونفعه الا منه ولا ينافيه قوله تعالى حكاية عن موسى
فاجاب ان يقتلوني انا نخاف ان يفرط علينا او ان
يطغى ونحوه لان الانسان مامور بالفرار من اسباب
العطب الى اسباب السلامة وان لم يسلم بدليل وخذوا
حذركم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول عمر رضي الله
عنه انما نفر من قدر الله الى قدره وعلى هذا فقد
على المرء ان يسعى لما فيه نفعه . وليس عليه ان يساعده الدهر
حكي ان شيخا من اهل الشام حضر صفين مع علي كرم
الله وجهه فقال يا امير المومنين اخبرنا عن مسيرنا
الى الشام اكان بقضاء الله وقدره قال نعم والذي
فلق الحبة وبرا النسمة ما وطينا موطيا ولا هبطنا واديا
ولا علونا شرفا الا بقضايه وقدره فقال الشامي فعند
الله احتسب عناي وما اظن ان لي اجرا في سعيي اذا كان
الله قدره فقال علي رضي الله عنه ان الله اعظم الاجر
على مسيركم وانتم مسيرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون
ولم تكونوا في شي من حالاتكم مكرهين ولا عليها مجبورين
فقال الشامي فكيف هذا والقضاء والقدر ساقانا
وعنهما كان سيرنا فقال علي ويحك يا اخا الشام لعلك

ظننت

ظننت قضا حتما لازما وقدرا جازما لو كان ذلك كذلك
لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ولما
كان اولى بثواب الاحسان من المسي ولا المسي بعقوبة
الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب
الشيطان وخصما الرحمن قدرية هذه الامة ان
الله امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا
ولم يكلف عسيرا فقال الشامي وما القضا والقدر
اللذان ساقانا قال علي كرم الله وجهه الامر من الله
بذلك ثم تلى وكان امر الله قدرا مقدورا فقام الشامي
فرحا مسرورا رفعت الاقلام اي تركت الكتابة بها
للفراغ من تقدير ما كان وما هو كاين الى يوم القيمة
وجفت بالجيم الصحف اي يبست الكتابة التي في الصحف
التي فيها مقادير الكاينات كاللوح المحفوظ فلا تبدل
ولا يتغير المكتوب فيها عما هو عليه الى اجل مسمى والامور
المقدرة في الازل لا يتغير ولا يتبدل وكلما يقع فهو
المقدور فيه فلا مجال للتبدل ولا احتمال للتحول حكى
الزمخشري ان عبد الله بن طاهر قال للحسين بن الفضل
اشكل على قوله تعالى كل يوم هو في شان وقد صح ان
القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة وطويت الصحف فقال
انها يعني التي ذكرت في قوله كل يوم هو في شان شوون
يبديها لا شوون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه
وقام رجل الى بعض العلما وهو على كرسيه للوعظ يقرر
تفسير كل يوم هو في شان فقال له يا هذا فما يفعل ربك

ربك الان فاغتم وبات مهموما فراى المصطفى صلى الله عليه
وسلم فذكر له ذلك فقال له انا الخضر عليه السلام وانه سيعود
فقل له شوون بيديه لا يبتديها يخفض اقواما ويرفع اخرين
فاصبح مسرورا فاتاه فاعاد السوال فاجابه بذلك فقال
له الخضر عليه السلام صلى على من علمك وانصرف مسرعا وقال
ان رفع الاقلام وجفاف الصحف عبارة عبارة عن الفراغ
من التقدير وثبت المقادير على طريق التمثيل فان الكاتب
انما يجف قلمه بعد الكتابة قال التوربشتي فهو كناية
عن امضا المقادير والفراغ منها قال الطيبي وهو من
باب اطلاق اللازم على الملزوم لان الفراغ بعد الشروع
يستدعي جفاف القلم والصحيفة عن مدادها قال
التوربشتي ولم نجد هذا اللفظ مستعملا على هذا الوجه فيما
انتهى الينا من كلام العرب الا في كلام المصطفى صلى الله عليه
وسلم فاراها من الالفاظ المستعارة التي لم يهتد لمثلها
البلغا فاقتضتها الفصاحة النبوية وفي قول المصطفى
صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة رمز الى ما قيل ان التقدير
لا يتجاوز عن الكائنات في عالم الكون والفساد وعلى
وفق هذا وقال كعب الاحبار رضي الله عنه لعمر الفاروق
رضي الله عنه لما قال له ويحك يا كعب حدثنا عن الاخرة قال
اذا كان يوم القيمة رفع اللوح المحفوظ اشارة الى ان
القضا والقدر يرتفع فيه احكام عالم الكون والفساد
ولعدم هذا التقدير فيما يكون في عالم الغيب قال
المصطفى صلى الله عليه وسلم لام حبيبة رضي الله عنها لما

سمعها

سمعها تدعوا اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبابي واخي قد سالت الله لآجال مضروبة وايام
معدودة وارزاق مقسومة لن يعجل الله شيا قبل اجله
ولن يوخر الله شيا بعد اجله ولو سالت الله ان يعيذك من
النار لكان خيرا وقال المولى ابن الكمال وكلما يحدث
في عالم الكون والفساد له صورة اجمالية في اللوح المحفوظ
على وفق القضا الازلي المنزه عن النسبة الى الزمان بقوله
وعنده ام الكتاب ثم ان له صورة تفصيلية في لوح المحو
والاثبات على وفق ما اقتضته الحكمة الالهية وقد عبر عن
هذا اللوح في التنزيل سما الدنيا ووقعت الاشارة الى
هذين اللوحين في قوله تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت
وعنده ام الكتاب ومما يدل على ما تقرر من ان للكا ينات
تقديرا اخر في لوح المحو والاثبات يتطرق اليه التغيير
والتبديل ما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يدعو اللهم
ان كنت كتبت اسمي في ديوان الاشقيا فامحه واثبته في
ديوان السعدا فانك قلت وقولك الحق يمحو الله ما يشا
ويثبت ومن حكمة التغيير اظهاره تعالى للملايكة عظيم
نواميس الوهية حيث لا يلزمه فعل ولا يتعين عليه امر
وانه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد ومن هنا انكشف له
حكمة الامر بالحذر والنهي عن القا النفس في التهلكة
كما مر عن ان هنا شي يجب التنبه اليه وهو ان ما تقرر من
كون ما في اللوح يتطرق اليه التغيير والتبديل محال لما
انه يلزم عليه محال لا يخفى على من له ادنى مسكة في هذا

المجال رواه الترمذي في جامعه وقال حسن صحيح وهذا الحديث
اصل كبير في شهود التوحيد ولهذا انه قيل نصف الاسلام
وفي رواية غير الترمذي وهو عبد ابن حميد في مسنده
والامام احمد احفظ الله تجده امامك بفتح الهمزة بالمعنى
المقرر فيما قبله تعرف بشدة الرا الى الله اي تحبب وتقرب
اليه بطاعته والشكر على سابغ نعمته والصبر تحت مراقضته
وصدق الالتجا الخالص قبل نزول بليته في الرخا اي في
حال اليسر والدعة والامن والنعمة وسعة العمر وصحة البدن
والخلو من الموانع والقواطع فالزم الطاعات والانفاق
في القربات حتى تكون متصفا عنده بذلك معروفا به
يعرفك في الشدة مطيعا فاذا وقعت في شدة يعرفك
بالطاعة فيجعلك ناجيا ويمدك ويعينك حالتئذ لان
المعرفة سبب المحبة والمحبة توجب الاعانة والاغاثة
ويفرج همك ويزيل وصبك ويجعل لك من كل ضيق مخرجا
ومن كل هم فرجا بما سلف من ذلك التعرف كما وقع للثلاثة
الذين آووا الى الغار فاذا التعرفت اليه في الرخا والاختيار
جازاك عليه عند الشدايد والاضطرار بمدد توفيقه وخفي
لطفه كما اخبر تعالى عن يونس عليه الصلاة والسلام بقوله
فلولا انه كان من المسبحين يعني قبل البلا بخلاف فرعون
لما تنكر الى ربه في حال رخايه لم ينجه اللجا عند بلايه
بل قال له الان وقد عصيت قبل وقيل المراد تعرف
الى ملايكة الله في حال اليسر باظهار الطاعة ولزوم
العبادة والعمل بها اولا الله من نعمه يعرفك في العسر بواسطة

شفاعتهم فيفرج كربك ويعينك في امورك والاول اولى
لاستغنائه عن التقدير لكن يريد الثاني ما روي ان العبد
اذا كان له دعاء في الرخاء فدعى في الشدة قالت الملائكة
ربنا هذا صوت نعرفه واذا لم يكن له دعاء في الرخاء
فدعى في الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه
قال بعض اكابر الصوفية ومنه يوخذ انه ينبغي ان يكون
بين العبد وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده
قريبا منه فياتس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعا يه
ومناجاته وخدمته ولا يزال العبد قريبا منه فيانس به
في خلوته يقع في شدايد وكروب في الدنيا والبرزخ والموقف
فاذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه ذلك
كله وكما انه ينبغي ان يتعرف الى الله في الرخاء ينبغي ان
يتعرف الى اهل الله تعالى فيه ليشفعوا له عنده عند نزول
الشدايد ولهذا كان بعض مشايخنا الصوفية يقول ينبغي
للانسان ان كلما مر بقبر ولي او عالم عامل ان يقرا الفاتحة
ويهدي ثوابها اليه ويجعل ذلك معاملة بينه وبين ذلك
الولي يتعرف اليه اذا نزل به شدة يمده بمدده فيظهر
اثر ذلك عليه واعلم ان ما اخطاك مما قدر في الازل من
خير وشر فلم يصل اليك لم يكن مقدرا على غيرك ليصيبك
لانه بان كونه اخطاك انه غير مقدر عليك وما اصابك
من ذلك لم يكن مقدرا على غيرك ليخطيك وانما هو مقدر
عليك اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه ومعنى ذلك
انه قد فرغ مما اصابك او اخطاك من خير او شر فما اصابه

لك محتومة لا يمكن ان يخطيك وما اخطاك فسلامتك منه
محتومة فلا يمكن ان يصيبك لانها سهام صايبة وجهت
من الازل فلا بد ان تقع مواقعها والقصد بذلك تقوية
الايمان وترك الهم والفزع لاصابة شي او ذهابه كذا
قرره شارحون وقال الطيبي قوله لم يكن ليخطيك
وضع موضع المحال كانه يقول محال ان يخطيك كقوله
تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي لا ينبغي ولا يصح
ومحال ان يطلعكم عليه لان فيه ثلاث مبالغات الاولى
دخول اللام المؤكدة للنفي في الخبر الثانية تسلط النفي
على الكينونة الثالثة سرايته في الخبر قال بعض المغاربة
وفايدة دخول كان المبالغة في نفي الفعل الداخلة
هي عليه لتعديد الجهة عموما باعتبار وخصوصا باعتبار
الخبر فهو نفي مرتين انتهى فاشار بذلك الى ان هذا الفعل
من الشؤن التي عدمها راجح على الوجود وانها من قبيل
المحال وقوله وما اخطاك قال الراغب الخطا العدول
عن الجهة ومن اراد شيا واتفق غيره يقال اخطا وان
وقع منه كما اراده يقال اصاب واستعماله في الحديث
مجاز واستعماله في هذه التاكيدات والمبالغات حكم على
خالفها بالمكابرة والعناد ثم ان في قوله وتعلم ان ما
اصابك على الخطاب العام حث على التوكل والتسليم
والرضا ونفي الحول والقوة الا بالله وبعث على التصلب
في دين الله مع اعداء الله والمعنى بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر بغير مبالاة باحد كاينا من كان ولزوم القناعة

والصبر

والصبر على المصايب في الاهل والمال وعلى المرابطة للنفس
الامارة بالسوء في طريق السلوك الى معارج القدس وفقنا
الله لادراكه تنبيه قال الطوفي اعلم ان كل امر بالنسبة
الى كل انسان هو لذاته جايز ان يصيبه وان يخطيه على
جهة الامكان الخاص وانما تعين في بعض الامور اصابته
للشخص وفي بعضها خطاوه له بتعلق الارادة والعلم الازليين
بذلك فقتل الخلفا الاربعة مثلا هو لذاته كان جايزا ان
يصيبهم وان لا وانما تحتم وقوعه بتخصيص الارادة وتعلق
العلم الازليين واذا تعلق بعلم الله بوقوع ممكن او عدمه
قوله فهل يبقى خلاف ما تعلق به العلم مقدورا قولا المتكلمين
حكاهما الامام الرازي في نهاية العقول تنبيه
على ان الانسان في هذه الدار معرض للمحن والبلا سيما الصلحا
فينبغي الصبر والرضا بالقضا من الله للعبد
لانه سببه وهو مترتب عليه فهو معه بمعنى انه
يعقبه والغالب على من انتصر لنفسه الخذلان
بمعنى انه يعقبه لا محالة لعدم دوامه فعليك
ان تصبر على ما اصابك منه محتسبا راجيا وقوع الفرج من
ذلك ان ذلك من عزم الامور فحسن ظنك بربك فانه
ارحم بك منك لنفسك هكذا قرره شارح هذه المعنة
وقال الطوفي في هذه القضية توخذ تارة بالنظر الى العلم
الازلي وتارة بالنظر الى الوجود الحقيقي الخارج فان
اخذت بالنظر الى العلم الازلي كانت مع على اصلها في
اقتضاء المقارنة والمصاحبة لان النصر والصبر مقترنان

في تعلم العلم الازلي بهما اي لم يكن نفس تعلقه باحدهما بعد
الاخر وهذا كلام محقق فلا تظنه تناقضا وان اخذت
بالنظر الي الوجود الحقيقي اعني وقوع الصبر والنصر كانت
مع بمعنى بعد اي ان النصر بعد الصبر والفرج بعد الكرب
لان بينهما تضادا او شبهة فلا يتصور احدهما مع الاخر
مقارنة انما يكون احدهما بعد الاخر قال ويحتمل تخريج
مع على بابها ايضا بان اخر اوقات الصبر اول اوقات النصر
فقد حصلت المعية والاقتران بينهما في اخر اوقات الصبر
اذ هو بينهما مشترك انتهى فاقتصر من بعده من الشراح علي
هذا الاخير فيما مر وفي قوله وان مع العسر كالكرب وضيق
الصدر يسرا كالفرج والشرح فاخر اوقات الصبر والكرب
والعسر اول اوقات النصر والفرج واليسر فكانها مقارنة
لها فعلى على حقيقتها ونكر اليسر للتعظيم لمبالغة مع ما في
ان من المصاحبة في معاقبته للعسر واتصاله به اتصال
المتقاربين وتكريره في الاية للتاكيد او للاستيناف
وذلك وعد للمصطفى صلى الله عليه وسلم بان العسر متبوع
بيسر اخره كثواب الاخرة كما في للصايم فرحتان فرحة
عند فطره وفرحة عند لقاء ربه بدليل ما رواه الحاكم
عن الحسن البصري مرسلا ان المصطفى صلى الله عليه وسلم
قال لن يغلب عسر يسرين كرر ذلك اتباعا للفظ التنزيل
اشارة الى ان العسرين في الموضعين واحد واليسر الاول
غير الثاني لان النكرة اذا كررت فالثاني قد يكون غير
الاول والمعرفة اذا كررت فالثاني عينه سواء كانت اللام

للعهد او للجنس قال ابن ابي جمرة كان علي كرم الله وجهه
اذا كان في شده استبشر وفرح واذا كان في رخا قلق
فقيل له فيه فقال ما من ترحة الا وتبعها فرحه
وما من فرحة الا وتبعها ترحه ثم تلى الاية وهذا الحديث
اصل في رعاية حقوق الله والتفويض لامره الحديث
الموفي عشرين عن ابي مسعود عقبة ابن
عمرو بن ثعلبة الانصاري الخزرجي البدري نزل ما
ببدر فنسب اليه والجمهور على انه سكن بدرا ولم يشهد
وقعتها وشهد العقبة مع السبعين وكان اصغرهم
واستخلفه علي بصفين عند خروجه منها مات سنة اربعين
او غيرها قال صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس
من الناس وهو التحرك لان بعضهم يانس ببعض قال
ابن الكمال والادراك احاطة الشي بكماله والناس هو
بالرفع في جميع الطرق كما في الفتح قال ويجوز نصبه
اي مما بلغ الناس من كلام النبوة الاولى اي مما
اتفق عليه الانبيا لانه جا في زمن النبوة الاولى وهي
عهد ادم عليه السلام واستمر الى ان ادركناه في شرعنا
ولم ينسخ في ملة من الملل بل ما من نبي الا وندب اليه
وحث عليه ولم يبدل فيما بدل من شرايعهم ففايدة
اضافة الكلام الى النبوة الاشعار بان ذلك من نتايج
من لطايف الوحي ثم تطابقت عليه العقول وتلقته
جميع الامم بالقبول ذكره جمع وقال الطيبي من في
مما ابتدائيه ومن خبران واسمها قوله الاتي اذا لم

يدة

تستحي على تاويل ان هذا القول حاصل مما ادرك وعليه كلام
التوربشتي حيث قال المعنى ان ما بقي فادركوه من كلام الانبيا
ويجوز ان يكون فاعل ادرك ضميرا راجعا الى ما والناس
مفعوله وعليه كلام البيضاوي اي مما بلغ الناس من كلام
الانبيا عليهم السلام المتقدمين ان الحيا هو المانع من اقتراف
القبايح والاشتغال بمنهيات الشرع ومستهجنات
العقل وذلك امر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت الشرايع
والعقول على حسنه وما كان هذه الصفة لم يجز عليه النسخ والتبديل
وقيد النبوة بالاولى ايذانا باتفاق كلمة الانبيا عليهم السلام
على استحسانه من اولهم الى اخرهم اذا لم تستحي فاصنع ما
شئت هو للتهديد والوعيد اي اذا كنت لا تستحي من الله
ولا تراقبه في فعل اوامره واجتناب نواهيه فاصنع ما
شئت فان الله يجازيك على عدم مبالاتك بموافقة ما
حرمه عليك كما في اعملوا ما شئتم او هو للاباحة اي انظر
الى ما تريد ان تفعله فان كان مما لا يستحيا من فعله فافعله
وان كان مما يستحيا منه فدعه وعلى هذا مدار الاسلام
من حيث ان الفعل اما ان يستحيا منه وهو الحرام والمكروه
وخلاف الاولى واجتنابها مشروع او لا يستحيا منه وهو
الواجب والمندوب والمباح وفعلها مشروع او هو امر بمعنى
الخبر كما في فليتبوأ مقعده من النار اي صنعت ما شئت
لان ترك الحيا يوجب الاستهتار والانهماك في هتك الاستار
والمراد الحث على الحيا والتنويه بفضله اي لما لم يجز صنع
ما شئت لم يجز ترك الاستحيا وكيف ما كان فالمراد ان الحيا

كان اراد ان الحيا كان مندوبا اليه في الاولين كما انه
محثوث عليه في الاخرين وقد ثبت انه شعبة من الايمان
اي من حيث كونه باعثا على امتثال الماموr وتجنب المنهي
لا من حيث كونه خلقا فانه غريزة طبيعية يحتاج في كونها
شعبة منه الى قصد قال الطيبي قد ذكر النووي رحمه
الله ان قانون الشرع في معنى الحيا يحتاج الى اكتساب ونية
فينبغي ان يحمل الحديث على هذا المعنى والقانون فيه
انك اذا اردت امرا او اكتسبت فعلا وانت بين الاقدام
والاحجام فانظر الى ما تريد ان تفعله فان كان ذلك
مما لا يستحي منه من الله تعالى ولا من رسله وانبيائه قديما
وحديثا فافعله ولا تبال من الخلق وان استحييت من الخلق
وان كان مما يستحيا فيه من الله ومنهم فدعه وان لم تستحي من
الخلق فيه فدخل الحديث اذن في جملة جوامع الكلم التي استاثر
الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم وقد عد العسكري وغيره
هذا الحديث من الحكم والامثال ونظم بعضهم معناه في بيت فقال
اذا لم تخش عاقبة الليالي * ولم تستحي فاصنع ما تشاء
واصل الحيا انقباض النفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن
لمواجهة ما تراه نقصا حتى يتعذر عليها الفرار بالبدن وقيل
انقباض النفس من الشيء حذرا من الملام وقيل انقباضها عن
القبيح خوف الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة
على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس
عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة
الحيوانية فيردها عن افعالها واذا وصف به الباري فالمراد به

وهذا البيت * فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء * يعيش المرء ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقي اللحاء *
وقال بعضهم * اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * ولم ترع مخلوقا فما شئت فاصنع * اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير في وجه اذا قل ماؤه *
وقال غيره * أأذكر حاجتي ام قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الحياء * كريم لا يغيره صباح * عن الفعل الجميل ولا المساء *
* اذا اثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضك الثناء *
ومما انشد في الحيا * ورب قبيحة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء *
* وما ردعني الهوى في المعصية * يوما الا نهاني الحياء والكرم * ولا الى محرم مددت يدي * ولا خطت بي لزلة القدم *
وقال الفرزدق يمدح زين العابدين * يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم *